

تقديم

القارة الإفريقية التي نعثرها ظلماً بالسوداء والمظلّمة ، قد أخذت تستفيق سريعاً من غفوتها ، وانطلق المارد الإفريقي وأصبح له شأن خطير في السياسة العالمية ، وأثر محسوس في الأدب والفنون بل في الموسيقى .

ومصر دولة من الدول الكبرى في إفريقيا ، وقد ارتبطت في تاريخها الطويل ببعض شعوب هذه القارة ، حيناً بالسياسة ، وحيناً بالتجارة ، وحيناً بالنسب وأواصر القرى الوثيقة ، وحيناً بالاشراك في المنصب ، وحيناً بوشائج العروبة التي لا تنفصم .

ولإفريقيا تاريخ عريق ضارب في القدم . وقد قامت فيها في زمن الأزمان إمبراطوريات عظيمة . وحضارات ناهضة ، كما أن لمصر سياسة إفريقية تحرص على مصالح هذه القارة . وما أحوج القارئ العربي اليوم إلى طائفة صالحة من الكتب تعرف بهذه القارة التي تسبق الأحداث فيها الزمن . وتلعب فيها السياسات العالمية أدواراً ينبغي لنا أن نعيها ونتابع نهضة القارة التي تجري بأسرع ما نستطيع به أن نلاحقها .

وقد رأيت دار المعارف أن تسد حاجة القارئ العربي هذه ، فتصدر سلسلة من الكتب تتناول قارة إفريقيا من جميع النواحي ، وهي تضع بين يديه الكتاب الأول من هذه السلسلة وهو إفريقيا للإفريقيين للكاتب الفرنسي كنود فوتيه وترجمة الأستاذ أحمد كمال يونس .

المستشار الثقافي

إبراهيم زكي خورشيد

obeikandi.com

مقدمة الكتاب

لقد ذكرنا في هذا الكتاب أسماء حوالي مائة وخمسين مؤلفاً أفريقيًا من الجنس الأسود ، وكان أوائل هؤلاء الكتاب من العبيد الذين ولدوا في أفريقيا ومنحهم القدر امتيازاً نادراً ، إذ أتاح لهم الدراسة في أوروبا أو أمريكا ، وأواخر هؤلاء المؤلفين هم ممثلو النخبة المثقفة التي أنشأها الاستعمار . وإذا كنا نتمنى ألا نكون قد نسينا ذكر أى كتاب ذى أهمية فإننا لم نحاول قط - وحتى بالنسبة لأفريقيا الناطقة باللغة الفرنسية - أن نكون ممن يكيلون المديح ، فإذا كنا قد حاولنا ذلك من جهة أخرى فإن ما بلغته الأبحاث في هذا الميدان لم يكن ليستمع لنا كثيراً بأن نبالغ في هذا المديح ، وفي الواقع : أن الأدب الأفريقي مهما كان « فنياً » فإنه لا يزال بعد ميداناً لم يكشف حتى في الفترة القريبة التي لفت فيها الكفاح من أجل محرر شعوب أفريقيا المستعمرة النظر إلى ما يكتبه الأفريقيون . والقيام بعمل جدول كامل بمؤلفات الأدب الأفريقي - بالمعنى العريض للكلمة - يحتوي على مؤلفات دارسي أصول السلالات البشرية ومميزاتها . وكتب المؤرخين وعلماء اللاهوت ورجال القانون والاقتصاد ، فإنه يجب القيام بعملية إحصاء منظمة محتاج إلى مجموعة كبيرة من الباحثين ، كما أنه ليس من الواجب استقصاء ما تحفیه المكتبات الكبيرة في العواصم الأوروبية المستعمرة السابقة فقط ، بل إنه من الواجب أيضاً القيام باستقصاء ما تحفیه مكتبات أفريقيا نفسها ، والتقيب أيضاً في دور النشر عن الكتب التي تحتجزها هذه الدور خصصاً على حساب المؤلف ، إذ أنه كثيراً ما لجأ إليها مؤلفون أفريقيون غير مشهورين أو معروفين .

وبالنسبة لأفريقيا الناطقة باللغة الفرنسية ، فإن كتاب « أفريقيا الفرنسية » للمؤلف جوكلا (GUCLA) يشمل جدولاً بالمؤلفات التي ظهرت ، وهو كتاب ضخم ، وبالرغم من أنه توقف عند عام ١٩٣٧ فإنه يمكن أن يتخذ أساساً لهذا البحث ، وإن كان الملاحظ أن بعض الأفريقيين قد بدأوا فعلاً عملية استقصاء من هذا النوع ، وأن طالبين في جامعة (Illinois انليتوس) بالولايات المتحدة قد اتبنا من وضع جدول شامل عن جمهورية ليبيريا .

وإذا كان عدد المؤلفين الأفريقيين قد ظل محدوداً إلى وقت قريب في قارة كانت الأمية فيها هي

القاعدة السائدة ، حتى أننا كنا نجدهم قلة عند إحصائهم ، فإن الموقف الآن يتطور بسرعة كبيرة والإنتاج الأدبي الأفريقي قد تقدم بخطوات ثابتة عملاقة خلال السنوات الأخيرة بدافع من الكبرياء ، ومما لا شك فيه أننا سوف نرى بعد بضعة عشرات من السنين قائمة كبيرة لعدد كبير من المؤلفين في أفريقيا السوداء .

أما فيما يتعلق بنا فقد توقعنا عند صيف عام ١٩٦٣ غداة المؤتمر الذى عقدته الدول الأفريقية المستقلة الاثنان والثلاثون ، فإن هذا المؤتمر يحتر خلاصة ما وصلت إليه أفكار حكام الدول الجديدة بعد السنوات الأولى من ممارسة الاستقلال ، وقد يكون لهذا المؤتمر أهمية كبرى في تاريخ أفريقيا ، فقد وجدنا موعداً صالحاً فيه وإيداناً يبيضح ما وصل إليه تاريخ الأدب الأفريقي من الزاوية السياسية .

ولقد أبعدها عن دراستنا - إلا قليلاً - الأدب الأفريقي الشغوى الناتج عن الفولكلور ، والذي ورد في دراسة الكتب الأوروبية لدراسة أصول السلالات البشرية ومميزاتها مثل مؤلفات Frobenius أو Labouret ، وسبب هذا الاستبعاد هو تركيز اهتمامنا قبل كل شيء على التيار الحديث للأفكار الوطنية الذى عبر عنه المستعمر بلغته ، ولأسباب مماثلة أيضاً لم نتناول دراسة الكتاب السود الناطقين باللغة العربية ، لأن مؤلفاتهم تدور حول مفهوم بعيد جداً عن الميدان الذى يهمننا ، وبدون الرجوع إلى عهد جامعة تومبكتو التى هدفها حملة عسكرية مغربية في نهاية القرن السادس عشر ولا الحديث عن الشريط (الجزء الصغير) الذى اصطبغ بالصبغة العربية بأفريقية الشرقية ، وقد يكون من الملائم أن نذكر أن الثقافة العربية قد أحرزت رواجاً في غرب أفريقيا ، خاصة في بداية القرن التاسع عشر في إمارات (بول) Paul (رسم قبائل) في شمال نيجيريا الحالية ، وترجع الوثائق التاريخية للغازي والمصلح الدينى عثمان دان فوديو وابنه ييلو سلطان سوكوتو إلى هذا العصر .

وهناك قصة تبين المستوى الثقافى الذى بلغه بلاط سوكوتو في وضوح وجلاء ، فقد حدث أن طلب السلطان ييلو من الكاشف الإنجليزي كلابرتون أثناء زيارة الأخير لهذه البلاد لأول مرة عام ١٨٢٤ أن يمدّه بنسخة جديدة باللغة العربية لمؤلفات أوكليد Euclide لأن نسخه من هذه المؤلفات قد أتت عليها النار في حريق شب في العام السابق ، وقد حقق كلابرتون هذه الرغبة عام ١٨٢٦ . ولكى نظل في نطاق عهد الاستعمار أو ما بعده ، فإننا قد استبعدنا أدب ليبريا وأثيوبيا أخيراً من مجال أبحاثنا ، فهما الدولتان الأفريقيتان المستقلتان اللتان أفلتتا من السيطرة الأوروبية ، إذا إستثنينا

الفترة القصيرة التي احتل فيها موسوليني أثيوبيا ، ومع ذلك فإن أدب ليبريا به بعض الشبه بأدب المستعمرات الأفريقية السابقة ، ولو كان ذلك بسبب اضطراب موروثها إلى أن تكافح طويلا ضد أطماع الدول الكبرى (وهي بريطانيا وفرنسا) السيطرة على البلاد المجاورة لها وذلك للمحافظة على كيانه ووجودها المهددين .

إن مؤلفات إ. د. بلايدن E. D. Blyden وهو أول كاتب كبير في ليبريا - والتي سوف نتناولها ببعض الكلمات فقط - كانت دفاعاً في سبيل رد الاعتبار للزنجي ، وكان لمؤلفاته تأثير في الجيل الأول من المثقفين الأفريقيين الناطقين باللغة الإنجليزية في خليج بيتان .

وقد استمر الأدب الليبري (ليبريا) بعد الكاتب «بلايدن» في التقدم والنمو بواسطة مؤلفين عملوا على إذكاء الشعور الوطني ، وتوجيه الجماهير إلى التعرف على حقيقة بلادهم ، أمثال أبيومي كارنجا مؤلف كتاب تاريخ ، وكتاب عن العادات الأفريقية في ليبريا ، وأرنست ج. يانسي ، ودويس نانكسي هنريز الذي خصص أحد مؤلفاته «لأبطال وبطلات ليبريا» وهؤلاء الأبطال والبطلات هم الرواد الأوائل الذين اصطدموا بعداء القبائل من سكان البلاد الأصليين .

ويهم بعض المؤلفين المعاصرين بإذكاء الشعور الوطني أمثال الصحفي هنري ب. كول مؤلف كتابي «لقاء الليبريين» و«من هم الليبريون» والمؤرخ أرنست إيستان بكتابه التاريخي «تاريخ مقاطعة ميريلاند» ، كذلك قد نشر الكاتب ريمالد تاونسد كتاباً لخطب رئيس جمهورية ليبريا الحالي تحت عنوان «خطب الرئيس توبمان» ولا يفوتنا أيضا ملاحظة أن المسئولين عن التعليم في ليبريا يجتهدون أن يلقنوا ويعلموا تلاميذ المدارس أدب بلادهم ، وقد نشر لهذا الغرض كتاب نصوص لمؤلفين ليبريين تضمن بعض أجزاء من مؤلفات الكاتب «بلايدن» إلى جانب قصص الفولكلور الأفريقي وأشعار للمؤلف ه. كاري توماس .

وقد بلغ الأدب الأثيوبي ذروة مجده في القرون الوسطى - ومؤلفاته الرئيسية مكتوبة بلغة «جيز» - ولو أن أكثره أدب مترجم كما بين ذلك «سرا . ا. واليس بودج» أمين الآثار المصرية والآشورية بالمتحف البريطاني الذي ندين له بترجمة الكثير من المخطوطات البالغة الأهمية التي أحضرتها إلى لندن حملة بريطانيا في أثيوبيا في نهاية القرن الماضي ، وكذلك فإن كتاب «كبرى ناجاست» المشهور الذي يقص تاريخ مينيليك بن سليمان ومملكة سبأ - وهو من تنب الأسرة المالكة الحالية نفسها إلى سلالة - يبدو أن قسيما قبطياً قد جمعه وترجم من اللغة القبطية إلى اللغة العربية في القرن الرابع عشر ، ثم ترجم مرة أخرى حيثند إلى اللغة الأثيوبية .

وكتاب « تاريخ الإسكندر » أثيوبي وهو أقل بكثير من الكتاب السابق فهو مأخوذ من قصة إغريقية لكاتب يتحلل إسم Callisthène وتوجد منه روايات سورية وعربية وفارسية إلى جانب الرواية الأثيوبية ، والكتاب Callisthène الحقيقى كان من أحفاد أشقاء أرسطو ، وكان مؤرخاً عاش في بلاط الإمبراطور المقدونى وكانت مؤلفاته - التى لم تصل إلينا - تشمل فيها شملت كتاباً عن حياة الإسكندر ، أما المؤلف الذى انتحل اسمه فقد أتى بعده بكثير وقد جعل ممن انتصر على دارا في قصته بطلاً مسيحياً ، وهو في ذلك يرمى بوضوح إلى تشرعالم الإنجيل ، وقد لاقت رواجاً كبيراً في رواياتها المختلفة في ذلك العصر الذى تنازعت فيه شعوب كثيرة في الشرق الأوسط والأقصى نسبة الإسكندر إليها وجعله مواطناً من مواطنيها كما يبين ذلك لودج .

وكان الأمر كذلك بالنسبة إلى كتاب « برالام ويواصف » وهو قصة أسطورية هدفها أيضاً نشر تعاليم الإنجيل ، ويوجد منها غير القصة الأصلية اليونانية التى نسبت إلى القديس يوحنا الدمشقي مدة طويلة حوالى ست روايات عربية ، وسورية ، وفارسية ، وأرمنية ، وجولاجية وعبرية إلى جانب الرواية الأثيوبية وقصة ابن ملك هندي اعتنق المسيحية ، وتخرج هذه القصة المليئة بالبربطرقة غريبة التقاليد البوذية وذكريات رحلة أسطورية خرافية للقديس توما في الهند حيث اعتقد مستكشف البرتغال الأول أنهم قد اكتشفوا مخلفاته لدى السطوريين وهم طائفة دينية كانت تعيش هناك عند وصول هؤلاء المستكشفين على ساحل كورومانديل .

وهناك وضع غريب لكتاب آخر من الأدب الأثيوبي يفوق في غرابته وضع الكتاب السابق ، ذلك هو كتاب « معجزات السيدة مريم العذراء » وهو حسب رأى « جان دورس » قد كتب أصلاً في فرنسا باللغة اللاتينية في القرن الثاني عشر إبان تفشى وباء التهاب السنج الخلوى وإصابته بقروح وهو يقول في ذلك « لقد انتقل هذا الكتاب إلى الشرق وترجم إلى اللغة العربية في صندايا في سوريا ثم عبر الكتاب إلى مصر حيث زيدت عليه قصص محلية ، ثم وصل أخيراً إلى أثيوبيا حيث تم تكيفه بقصص عجيبة .

ولا داعي للقول بأن هذا الأدب الأثيوبي يظل ميداناً مخصصاً لبعض المتبحرين في المعرفة فقط ، وفتحت أثيوبيا أبوابها فترة للتأثير الغربي وخاصة للبرتغاليين الذين كانوا يبحثون عن آثار ، ولكنها ما لبثت أن انطوت على نفسها بعد طرد الآباء اليسوعيين الذين أرادوا أن يعتنق الملوك الأثيوبيون المسيحية ، وفي القرن السابع عشر نجد العالم الألماني « هيوب لودولف » وهو أكبر عالم

أوروي في الدراسات الأنثوية لم يستطع مطلقاً الذهاب إلى أثيوبيا لتابعة أبحاثه ، بل أنه تابعها في Collegium الأنثوية بالفاتيكان لدى رهبان أثيوبيين قد اعتنقوا المسيحية ورحلوا عن أثيوبيا مع آخر الآباء اليسوعيين .

وقد وصلت مخطوطات هامة إلى أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر وخاصة إلى لندن وباريس ، وكان الغزو الإيطالي قد سبب نهضة في الدراسات الأنثوية ، وآخر كتاب من الكتب النادرة الشاملة التي نشرت عن الأدب الأنثوي هو كتاب أتركو Cornelli ومقال Jean Dorresse يعتبر من الأبحاث الحديثة النادرة التي صدرت باللغة الفرنسية في هذا الميدان ، وعنوانه هو « الأدب الأنثوي والأدب الغربي في القرون الوسطى » . وقد نشر هذا المقال بالقاهرة عام ١٩٦٢ في مجلة جمعية الآثار القطبية ، كما نجد في مقتطفات الأدب الأفريقي للكاتب «يجي روثرفورد» بعنوان «الظلمة والنور» فقرات قصيرة جداً من كتاب «كبرى ناجاست» مأخوذة من ترجمة «سير . ا . اليس بودج» أما الأدب الأنثوي المعاصر فإن دراسته لم تبدأ بعد .

والآن . نرى لزاماً علينا أن نتوجه بالشكر إلى جميع من تكرموا بمساعدتنا في إخراج هذا الكتاب ، ونخص منهم السيد / روبرت كورنغان الدكتور في الآداب ومدير مركز الدراسات والمستندات الخاصة بأفريقيا (بدول ما وراء البحار) على ما جئنا من تشجيع قيم بما قدم لنا من البيانات التي لولاها لكان هذا الكتاب أوجه نقص كبيرة ، كما نشكر كذلك السيد / جان أوزفالد الذي قدم لنا في ساحة تجربته كناشر ، كما تقدم بالشكر أيضاً إلى السادة / مورومي وزير الدولة الآن في كينيا ودافيد ويليامز رئيس تحرير جريدة «غرب أفريقيا» الذي فتح أمامنا في لندن أبواب مكتباتهم الفنية بكرم نادر ، فالملكة الأولى عن غرب أفريقيا والثانية عن شرق أفريقيا الذي كان يقع فيها مضى تحت السيطرة البريطانية ، وكذلك السيناتي المدرسي (من مدريد) جوليان ماركوس الذي وضع في كثير من الظروف تحت تصرفنا كل ما جمعه من معلومات خاصة بفيلم عن المشكلة الزنجية «مشكلة السود» والسيد / أليون ديوب مدير مجلة «الوجود الأفريقي» الذي قدم لنا كثيراً من البيانات عن حياة مختلف المؤلفين الأفريقيين والسادة م . م . هامباتي يا وبراسور من منظمة J. F. A. N. عن مذكراتها الخاصة بمؤلفات إبراهيم مامادو أووان وبشأن إمبراطورية ماسينا ، وإلى السيد / رينيه بانود وبخصوص ذكريات قراءته عن الأدب الاستعماري في بداية هذا القرن ، وإلى السادة جان دوفرنويه مدير مركز علم المجتمع بجامعة تونس ، والسيد / كلود تاردرت أخصائي أصول السلالات البشرية وميزاتها والملحق للقيام بالأبحاث بالمركز القومي للبحث العلمي بفرنسا ،

والسيد / جيلبرت أنسيان الخبير الاقتصادي لشئون أفريقيا لدى منظمة S. E. O. E. S. وهؤلاء السادة
الذين كانوا أول من قرأ مخطوط هذا الكتاب لما قدموا من نصائح مفيدة ، وإلى مدام (السيدة)
كوازيل أمينة مكتبة الدراسات والمستندات الخاصة بأفريقيا : الأفريقية ، التي جعلتنا جدارتها نريح
وقتها ثمناً .

تمهيد

إن المطالبة بالاستقلال قد سارت دائماً جنباً إلى جنب مع النهضة الثقافية عبر التاريخ ، ويمكننا أن نبرز في ذلك مثلاً واضحاً كل الوضوح : ذلك هو حركة القوميات التي نشأت في شرق أوروبا في القرن الماضي ، والتي شهدت رجال النحو والصرف والمؤرخين والشعراء يعملون جميعاً في سبيل إحياء روح الشعب ، فزرى الطراز الأول منهم وهو يضع ويقدم اللغة الوطنية مبتدئاً باللهجة ، ثم نرى الطراز الثاني وقد أحل تاريخ الشعب محل تاريخ الأسر الحاكمة المتتالية ، أما الطراز الثالث من هؤلاء الرجال فكان ينفخ بأشعاره في نار الثورة لإشعالها^(١) .

ولم تغفل حركة تحرر المستعمرات الإفريقية السابقة من هذه القاعدة ، فقد كان الوصول فيها إلى الاستقلال مسبوقةً ومصحوبةً أيضاً بحركة ثقافية تثير الدهشة ، خصوصاً وأن الأمية كانت هي القاعدة في القارة السوداء قبل الحرب العالمية الثانية ، فإذا نشر كتاب لكتاب إفريقي منذ عشرين عاماً اعتبر هذا حادثاً شاذاً غريباً في نوعه ، أما اليوم ، فقلما يمر شهر واحد دون أن تظهر رواية أو مقال خاص بعلم نشاط الشعوب ، أو كتاب هجاء سياسي ، أو دراسة في الإقتصاد السياسي لمؤلف أفريقي ، فإلى جانب شاعر مثل ليوبولد سيدار سنجور ، وكتاب روائيين مثل كامارالاي ، وفرديناند أوريو ، وموجيبيتي ، وأموس توتولا أو ييترا براهامز ، وكتاب إقتصاديين مثل مامايوديا رئيس الوزراء السنغالي السابق ، ورجال لاهوت مثل الأب الكسيس كاجام ، والأب فانسان مولاجو الحائزون على درجة الدكتوراه من الجامعات الكاثوليكية . ورجال القانون مثل

(١) في كتاب « الحركة الفكرية الوطنية في الأدب الزنجي الإفريقي » يقارن الكاتب الكامروفي توماس ميلون نشأة الأدب الإفريقي بنشأة الأدب الألماني ، فقد نشأ هذا الأدب الأخير - بحسب رأيه - نتيجة رد فعل ضد سيطرة الثقافة الفرنسية التي كانت تسود أوروبا خلال القرن السابع عشر والثامن عشر لدرجة أصبحت معها اللغة الفرنسية هي اللغة الأوروبية عند المثقفين ، كذلك فإن النهضة الإفريقية (الثقافية) بالرغم من تعبيرها عن نفسها باللغة الفرنسية ، فإنها نشأت - على حسب رأيه - نتيجة رفض الإفريقيين أن يمتصهم المستعمر ، ومطالبتهم بشخصية زنجية إفريقية مميزة عن شخصية المستعمر في جميع الميادين .

ت ١٠. إلياس الذي كلف عام ١٩٦٢ بالاشتراك في لجنة إعداد دستور الكونغو الفدرالي (١) ،
بجد مع هؤلاء أخصائين في علم أصول السلالت البشرية وميزاتها مثل كوفي بوزيا ، ج. ب .
دانكا ، وقد فازوا جميعاً بأصوات مسموعة في الأوساط المتخصصة في ميادينهم .
وهناك دليلان يبرزان جيداً مدى الهضة الثقافية الأفريقية ، أولها انتظام نشر مجلات من صف
جيد لم يكن معروفاً حتى الآن ، والثاني عقد مؤتمرات يقاس ذووها بمدى اهتمام الصحافة
والحكومات بها ، وأهم مجلة يصدرها المثقفون السود هي بغير شك مجلة « الوجود الأفريقي » التي
أسسها السنغالي أليون ديوب عام ١٩٤٧ في باريس ، وقد أصدرت هذه المجلة عام ١٩٦٣ عددها
الثاني والسبعين وزاد الكثير من أعدادها الخاصة على ٤٠٠ صفحة ، كذلك مجلة « تام تام » التي
يصدرها الطلبة الأفريقيون الكاثوليك والتي لها مقر في باريس أيضاً وعمرت عدة سنوات ، وفي
مجلة « إله الموسيقى الأسود » (Black Orpheus) التي أسسها أوروبيان من دارسي الشؤون الأفريقية
هما أولي باير وجانهاينز جاهن .

وتبرز أيضاً أهمية مجلة « الوجود الأفريقي » في كفاية الصحفيين الأوروبيين الذين اجتذبهم إليها
للتعاون معها بالاشتراك في التحرير فيها ، وكذلك في مشاهير القامئين بالدراسات الأفريقية أمثال
مونور ، ريشارد مولارد ، بالاندييه ، جريول وهرسكوفيتز ، كما أن هناك علاوة على هؤلاء أندريه
جيد ، إيمانويل مونييه . جان بول سارتر ، ميشيل ليبريس ، وألبير كامو الذين أشرفوا على تأسيس
المجلة بنجاح وقلبو الاشتراك في الجمعية التي ترعاها .

ولكى نقيس مدى الطريق الذي قطعت هذه الهضة ، يكفي أن نذكر العواصف التي أطاحت
بمجلات السود المثقفين التي أسست في باريس بين الحربين . فقد أنشأ مجلة « الدفاع المشروع » عام
١٩٣٢ ثلاثة من شباب الأنتيل هم جول مونروت . اتين لير ، ورينيه مينيل . ولكنها لم تصدر
غير عدد واحد ، كما أصدر سيزير وسفور وداماس وآخرون عام ١٩٣٤ مجلة « الطالب الأسود »
التي جمعت هيئة تحريرها لأول مرة الأفريقيين وشباب جزر « الأنتيل » ولكنها كذلك لم تعيش زمناً
طويلاً ، كما قضى على مجلة « العالم الأسود » بعد ظهور ستة أعداد منها ، وكان يشترك في تحريرها
بريس مارس من هايتي والأمريكي كلود ماكي ورينيه ماران من جزر الأنتيل وآخرون . أما مجلة
« صباح السود » وهي ذات اتجاه شيوعي فإنها قد منعت من الصدور ، وقد صدر العدد ٤٣ من

(١) T. O. Elias هو اليوم وزير فدرالي للعدل في بلاده (نيجيريا) .

مجلة «الوجود الأفريقي» في أكتوبر عام ١٩٦٢ إذ رأت الحكومة الفرنسية أن المقالات التي نشرتها المجلة في ذلك الحين تعتبر تهديداً لأمن الدولة . وكانت هذه هي المرة الأولى التي تصدر فيها هذه المجلة .

وسرعان ما أصبحت مجلة «الوجود الأفريقي» داراً للنشر : بأن أصدرت أعداداً خاصة ، ثم اتخذت بعد ذلك شكلاً آخر هو إصدار مجموعات مختلفة من الكتب ، فنشر أليون ديوب وأصدقائه عدداً من الكتب المهمة للمؤلفين الأفريقيين (والأوروبيين أحياناً) ، وقد نجح في هذا المجال الثاني ، كما نجح المجال الأول ، لأن المثقفين الأفريقيين الذين كثيراً ما كانوا يضطرون فيما مضى إلى طبع مؤلفاتهم على نفقتهم قد وجدوا بذلك ناشراً كرمس جهوده لفتح أبواب الشهرة أمامهم . أما المؤتمرات التي عقدها المثقفون الأفريقيون ، فقد عقد المؤتمر الأول منها عام ١٩٥٦ في السوربون بباريس تحت رعاية مجلة «الوجود الأفريقي» وكان خاصاً بالكتاب والفنانين السود ، ثم تبعه اجتماع شامل آخر في روما عام ١٩٥٩ ، كما اجتمع المؤلفون الأفروآسيويون من ناحيتهم عدة مرات ، وكان ذلك في نيودلهي عام ١٩٥٦ وفي طشقند عام ١٩٥٨ ثم في القاهرة عام ١٩٦٢ . وقد عقد منذ وقت قريب في كامبالا بأوغندا مؤتمر ضم الكتاب الأفريقيين الناطقين باللغة الإنجليزية للمرة الأولى .

وهناك برهان آخر على اهتمام العالم بالهضة الثقافية الأفريقية ، ذلك أننا نجد الآن بين جمعيات اليونسكو ذات الطابع الاستشاري الجمعية الأفريقية للثقافة والتي ينشئ محرروها من المشاركين في تحرير مجلة «الوجود الأفريقي» .

وإن مجلة أليون دوب شاركت مشاركة جادة في الصراع الثقافي والسياسي لتحرير أفريقيا شأنها في ذلك شأن سابقتها من المجلات التي صدرت بين الحربين ، كما أن لهجة مؤتمرى باريس وروما كانت معادية للاستعمار ، وقد أعلن عن مؤتمر باريس بواسطة إعلان رسمه الفنان بيكاسو ، فكان ذلك حدثاً هاماً ، وقد كتبت مجلة الوجود الأفريقي في صفحتها الأولى وهي تقدم ملخصاً لما قام به المؤتمر فقالت «لقد استخلص المؤتمر ثلاث حقائق أساسية فحواها :

- ليس هناك شعب بدون ثقافة .
- ليس هناك ثقافة بدون أسلاف .
- ليس هناك تحرر ثقافي حقيقي لا يسبقه تحرر سياسي .

كما كان القرار العام الذي وافق عليه مؤتمر روما في نهاية انعقاده واضحاً أيضاً ، فقد سجل فيما

سجل « أن الاستقلال السياسي ، والتحرر الاقتصادي شرطان ضروريان للازدهار الثقافي في البلاد النامية عامة وفي البلاد الأفريقية بوجه خاص » ، فضلا عن تلك الدلالة الواضحة التي تبرز الاتجاه في هذا العصر : وهي أنه في عام ١٩٥٦ قد استضافت جامعة فرنسا « باريس » المثقفين الأفريقيين تم استضيفوا في روما عام ١٩٥٩ على مستوى أعلى السلطات في الدولة ، وأعلى المستويات الروحية ، فقد استقبل كل من رئيس الجمهورية الإيطالية والبابا يوحنا الثالث والعشرين قبل افتتاح المؤتمر الدكتور برايس مارس رئيس جمعية الثقافة الأفريقية وسفير هايتي في باريس ، وكانت غانا وغينيا قد حصك على استقلالهما في ذلك الوقت ، وقد كانت اجتماعات طشقند والقاهرة بلا شك أكثر عمقا ، وأشد انطبعا باهتمام المؤتمرين بالشئون السياسية أكثر مما حدث في اجتماعات باريس وروما .

وعندما وصلت الوفود إلى روميا حياهم السيد شرف رشيدوف رئيس السوفييت الأعلى بإقليم أوزبيكستان معلنا في خطابه بمناسبة افتتاح المؤتمر « أن المؤتمر يستوحى مبادئه من مبادئ مؤتمر باندونج مباشرة » ، أما في القاهرة فكان الموضوع العام في المناقشات هو « دراسة وسائل تقوية الشخصية الأفروآسيوية ونهضة الثقافات القومية » كما صرح بذلك مندوب تونس السيد محمد فراني . وقد احتلت المناقشات السياسية مكانا هاما حتى لقد انسحب وقد أوغندا من المؤتمر احتجاجا على رفض اللجنة الثالثة أن تذكر في القرار الخاص بالأمبريالية الاستثمار الشيوعي الروسي ، الصيبي ، كما ثار من ناحية أخرى جدل عاصف بين الوفدين الصيني والسوفيتي حول قرار عن نزع السلاح .

إن هذه البيانات المختصرة جدا عن مؤتمرات المثقفين الأفريقيين التي تكوّن ثلث العالم تكفي أن تبين مدى عمق النهضة الثقافية وجديتها هذه البلاد في معركة الكفاح السياسية ، وكيف أن السياسة كانت تغلب أحيانا على الثقافة ، وإذا كانت أفريقيا السوداء لم تتخلف عن تلك الظاهرة الثابتة التي نجعل شعوبها الطموحة إلى الحرية تحاول الاحتفاظ لنفسها بطابع خاص في ميدان الآداب والفنون ، فإننا نجد التجربة الأفريقية في هذا الميدان ذات طابع خاص جدا ، فالنخبة المثقفة قليلة العدد ، وما زالت جبهة السكان من الأميين ، فضلا عن أن النخبة المثقفة قد تلقف أفرادها جميعا بلغة المستعمر وأنهم يعبرون جميعا بهذه اللغة على وجه التقريب (وكانت لغات المستعمر هي الفرنسية - الإنجليزية - البرتغالية) ومن أجل ذلك كانت تلك النخبة المثقفة لا توجه كلامها إلا إلى الجمهور الذي يحيط أميته ، وهو محدود ضئيل العدد ولن نكون مجافين للحقيقة والواقع إذا قلنا إن

النخبة الأفريقية المثقفة كانت توجه كلامها إلى عاصمة المستعمر الأوروبي نفسه محاطة بذلك - كرايها - ضامراً المتحررين في هذه العاصمة أكثر من توجيهها كتاباتها وكلامها إلى مواطنيهم الأفريقيين .

لذلك فإننا نرى أن النهضة الثقافية لأفريقيا السوداء وقت الاستقلال ، نهضة فريدة في نوعها ، إذ أنها تختلف كثيراً عن النهضة في الأمم التي أرادت التخلص من نير إمبراطورية التمسا والمجروع عن تلك النهضات الثقافية في الدول العربية والآسيوية التي أمكنها أن تستمد هضاتها الثقافية من ماضٍ طويل حافل بالحضارة .

ومن العجيب أنه بحسب معلوماتنا من أنه لا يوجد كتاب شامل عن هذه النهضة الثقافية الأفريقية التي كانت ظاهرة فريدة في نوعها أكثر من ظاهرة تخرق القارة السوداء ، وإذا أمكننا أن نستخلص فكرة عن آراء المثقفين السود في مختلف الميادين من قراءة أعمال المؤتمرات التي عقدها الفنانون والمؤلفون السود وخاصة أعمال المؤتمر الثاني الذي تناول بالتحليل في دقة الدور الذي قام به كل من المورخ وأخصائى علم أصول السلالات البشرية وبمميزاتها ورجل القانون واللاهوت وغيرهم من الأفريقيين ، إلا أن الأمر هنا يتعلق بتجميع الأفكار التي كتبت أقل مما يتعلق بسلسلة من البيانات التي قدمت شخصيات مختلفة عن المشكلات التي تواجه النخبة الأفريقية في مختلف الميادين .

ومع ذلك فإن أهمية مشكل « النهضة الثقافية الأفريقية » لم تغب عن المتخصصين في السياسة أوفى الأدب الأفريقي ، فالفريق الأول يعتبر النهضة الثقافية الأفريقية مظهراً من مظاهر الثورة السياسية ، كما يرى الفريق الثاني أن المعنى السياسي للأدب يعتبر بحق من ملامحه الأساسية ، وإن أجمع الفريقان على أن دراسة هذه النهضة الثقافية تنحصر غالباً في الجزء الأدبي منها ، ولا يطلقون على مؤلفات رجال القانون واللاهوت والاقتصاد وعلم السلالات البشرية من الأفريقيين .

أما أخصائى السياسة الأفريقية فإن عدداً من مؤلفيهم لم يتوان عن إبراز دور المثقفين ومؤلفاتهم في الثورة الأفريقية ، فقد خصص لهم توماس هودجكين عام ١٩٥٦ فصلاً في كتابه « القومية في أفريقيا المستعمرة » ويخصص فيليب ديكرين في كتابه « مذهب وحدة البلاد الأفريقية » عدة صفحات لمجلة « الوجود الأفريقي » وللحركة الوطنية الفكرية الرنجية وهي التعبير الأدبي لتأييد مذهب وحدة البلاد الأفريقية ، كما يبرز جان بول سارتر في كتيبه « إله الموسيقى الأسود » الذي كتبه كمقدمة لمختارات الشعر الجديد الرنجي ، والملاجسى لليوبولد سيدارسفور اهتمام شعراء الحركة

الفكرية الزيجية بالسياسة في وضوح تام ، وقد بين الشاعر الأسود ليون حد . داماس من جيوان في كتابه « شعراء ناطقون باللغة الفرنسية » المعنى السياسي للانفصال الذي حدث بين الشعراء السرياليين السود من الجيل الجديد وبين تقاليد شعراء البرناس من الجيل السابق .

وقد اكتفى الألمانى جان هايتز جاجن في كتابه Motive بأن يبحث في الأدب الأفريقي الحديث عن الدافع الزيجى الحقيقى الذى بعث وأعاد للظهور تلك المعتقدات الموروثة عن الأجداد وهى التى أراد أن يتخذ منها أساسا لى بحث يتعلق بالزواج وأحوالهم . ومع أن هذا الكتاب يتعمق في ميدان الميتافيزيقا الأفريقية إلا أنه يشير عرضا هنا وهناك إلى المضمون السياسى للنهضة الأدبية الأفريقية . أما الكاتبة ليليان كستيلوت فقد فعلت عكس ما فعل « جاجن » لأنها قد أطالت في الحديث عن الجانب السياسى لمؤلفات الكتاب السود . وهى تبرز تأثير الشيوعية واجتذابها للمثقفين الزوج بطريقة واضحة لا تقبل الجدل وخاصة لأعضاء لجان « الدفاع المشروع » وحررى مجلة « العالم الأسود » .

وعند عرض ما كتب - سارتر وداماس وجاجن وكستيلوت - نجد أنهم لم يطلوا البحث حول إدخال الحركة الأدبية عن أحوال الزواج في المفهوم الواسع للنهضة الثقافية التى تشمل علم أصول السلالات البشرية ويميزاتها والقانون واللاهوت والتاريخ والفولكلور ، وليس معنى هذا أن هؤلاء الكُتّاب يجهلون هذه الميادين ، بل هم يعتمدون أن يمسخوها في اختصار . وأن يمحسروا دراساتهم في ميدان الأدب الأفريقى ولا يعددون ذلك إلى ميادين أوسع ، وهى المطالب الثقافية التى تشبع بها الشعر والرواية والأبحاث الأفريقية في مختلف العلوم الإنسانية . ولذلك نجد في إنجاز جاجن وكستيلوت ما يثير العجب فيما يتعلق بمؤلفات تكشف عن الفكر الأفريقى الحديث بوضوح مثل مؤلفات «جوموكينياتا» أخصائى علم أصول السلالات البشرية ويميزاتها أو المؤرخ شيخ . . أنا ديوب ، حتى لقد كان ذلك أيضا بالنسبة لكتب النقد الأدبى المحض .

ومع ذلك فإنه عند انعقاد أول مؤتمر للمؤلفين والفنانين السود ، قد دعى إلى ذلك هذا المؤتمر أخصائيو علم السلالات البشرية ويميزاتها والمؤرخون الأفريقيون ، ولما عقد المؤتمر الثانى كان المنظمون له يعتقدون تماما أن الحركة الفكرية الوطنية الأفريقية ليست حركة أدبية فقط ، حتى لقد أفسحوا المجال لأنفسهم للتدخل والاشراك مع الكتاب ، وتعكس نصوص القرارات التى اتخذت وصدّق عليها الاهتمام بما يأتى :

فإن جانب قرار عن الأدب وقرار آخر عن الفنون نجد سبع قرارات عن ميادين كثيرة مختلفة في

العلوم الإنسانية وعلوم التربية الوطنية وعلوم اللغات والتاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع واللاهوت والفنون المختلفة والطب .

والكتاب الوحيد الذي يعتبر بحق بحثاً شاملاً عن رد فعل المثقفين الأفريقيين تجاه الاستعمار هو كتاب بيرسولزر بعنوان : (Schwarze Intelligenz) فيه تحليل للمؤلفات الأدبية ومجموعة مقتطفات لبعض المؤلفين الأفريقيين خاصة تتعلق بالاقتصاد والسياسة والدين ، ويستكمل المؤلف هذه المقتطفات بأحاديث له مع بعض السود المتطورين في نفس هذه المواضيع وإن ظل يحثه لسوء الحظ محدوداً محصوراً في اتحاد جنوب أفريقيا فقط .

أما عن كتب المقتطفات الأدبية - وهي كثيرة - فإننا نجد منها الآن حوالي ستة كتب عدا كتب داماس وسنפור ، وهي التي ظلت إلى وقت قريب تقتصر على الأدب المحض فقط (١) ، ومع ذلك نبتت فكرة الأسف على فصل الأدب عن الاقتصاد والسياسة ، وفرضت هذه الفكرة نفسها وإن كان ذلك في حجة وعذر كما يذكر في هذا الصدد بعض أجزاء لنص خطاب ألقاه وقوامي نكروما ، ونص آخر «لكنياتا» في كتاب «الظلام والنور» للكاتب يحيى روثر فوردي ، كما أورد الشاعر الأسود الأمريكي لانتجستون هيويس في كتابه «الكنز الأفريقي» نصوصاً لقوامي نكروما وتوم مويبا كما تضمنت النسخة الفرنسية لهذا الكتاب نصوصاً لسيكوتوري ومجادولايا وكنياتا (٢) . كان هذا مفهوم كتاب «أدب الزوج» الذي كتبه الأب جريهوار منذ مائة وخمسين عاماً ، وكان يسرد فيه على سبيل الحصر «حياة ومؤلفات الزوج الذين لمعوا في العلوم والفنون والآداب» وإذا لم يكن من الضروري في هذا العصر أن يعمل مثل هذا الحصر الذي كان يقوم به الأب

(١) نذكر من بين كتب المقتطفات هذه كتاباً باللغة الإيطالية للكاتب ماريودي إندراد والكاتب ليونارد سأنفيل وكتاباً باللغة العربية للكاتب شمس إبال ، ونذكر أيضاً أن أفريقيا كانت بغير شك من أوائل القارات التي تملك كتاب مقتطفات للتخصص الإذاعي بعنوان وأصوات غانا المساهمة الأدبية في برامج الإذاعة الغانية ، الذي نشر عام ١٩٥٨ ، ونأسف إذ أنه لم تظهر مؤلفات مماثلة في عواصم أفريقية أخرى ، كذلك لم تنشر بعد المؤلفات المسرحية للسفالي أبدو أتناكا .

(٢) نجد في هذا الميدان الفكري كتاب «دوسيه أفريقيا» الذي يعتبر مؤلفاً جامعاً للتعرف على انقارة السودان إذ أنه قد اشترك في تأليفه مؤلفون أوروبيون وأفريقيون وهو يشمل مقتطفات من مؤلفات قوامي نكروما وسيكوتوري وجوموكينياتا وبعض كتابات الكاتب الروالي بيتر إبراهيمز «من جنوب أفريقيا» عن رئيس غانا وكنياتا ، وهجوماً شديداً مؤثراً للكاتب فيليس ناتانالا على النتائج الاجتماعية للفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا .

جريجوار ، فإنه من الأنفع لمن يريد الاستزادة من فهم حركة محور أفريقيا المستعمرة ألا تنزل دراسة أدب القارة السوداء الفنى عن المفهوم الشامل وهو مفهوم النهضة الأفريقية كمجموعة . وهذا أمر ضرورى خاصة وأن هناك الكثير من الاهتمام بالملاحع التى تربط بين الكتاب والباحثين الأفريقيين . والطابع الأول الذى يشترك فيه الجميع ويربطهم هو طابع التعصب السياسى ، فبرى فى أفريقيا المعاصرة علم أصول السلالات البشرية وطبائعها وعلم اللاهوت إلى جوار الأدب وقد سادها جميعاً التعصب ، ويقصد المؤرخ الأسود من هذا فضح الغزاة والمستعمرين ورد اعتبار الزعماء الأفريقيين الذين حاربوا وقاوموا الاستعمار ، فبريد أخصائى علم السلالات البشرية وميزاتها أن يدحض الزعم القائل بأن الأفريقى إنسان بدائى وحشى . المشهورة عن عقلية البدائين ذات الطابع المنطقى تلك النظرية التى يرفضها المثقفون الأفريقيون بشدة .

وكتب شيخ أنا ديوب قائلا « لقد إفترض أن هذه الأداة تؤدى إلى طبقات ذات أسرار خفية من بينها هذه العقلية الأفريقية المنطقية التى يخرج منها المخلوقات والأشياء ، ولقد بذلوا جهداً فى التمييز بين طبقات الجهاد والمخلوقات العاقلة ، والأناث وبين الطبقات المعنوية ... إلخ ، والقول بأن هذه الطبقات تنبثق من عقلية لاتفهمها الروح الغربية، ليس سوى وسيلة لسد الطريق أمام الأبحاث بمصطلحات وصيغ يصعب أيضاً حلها بالنسبة لنفس البشرية .

حقاً إن هذا الانحياز ليس فى اتجاه واحد فقط وهو مكافحة الإستعمار ورد اعتبار القيم الزنجية ، بل انه يوجد قصصيون أفريقيون ينطقون اللغة الفرنسية قد امتدحوا الاستعمار مثل الكاتب السنغالى باكارى ديالو الذى كانت قصته « القوة والطيبة » تمجيداً وإبرازاً لهذين المعنيين على أنها فضيلتان أساسيتان فى فرنسا ، كما يوجد أيضاً بعض الكتاب الروائيين وبعض أخصائى علم أصول الكائنات البشرية - وهم فى الغالب من المسيحيين - الذى حكموا حكماً قاسياً فيما كتبوا على بعض ممارسة المعتقدات فى الحرفافات مثل دافيد أتانو وكونيوم أو آمون رابى كما ورد رأى فى بعض كتب التاريخ والجغرافيا عن داهومى (مثل كيت أكندل وراجيس) بعيد كل البعد عن موضوع الاستعمار ، فضلا عن أن هناك أدباً بأكمله صادراً باللغة الوطنية لجنوب أفريقيا قد أطلق عليه « جانايتز جاها » تسمية تعتبر سباً وهى « أدب الموافقين » الذى يعكس آراء وتعاليم المبشرين والموظفين الاستعماريين ، ويوجد أخيراً بعض الشعراء الأفريقيين الذين لم تسبهم المطالب السياسية مثل بيرا جوديب ، كما جعل المكافح السياسى الأفريقى القديم فى الدول الناطقة بالفرنسية من نفسه فى عصره المدافع العنيف عن : La Loi Cadre القانون الوضعى (المحلل) .

وباختصار فإنه يوجد في أفريقيا إلى جانب الأدب المنحاز أدب «محمي» وأدب مقيد نابع من اتباع الكنيسة «الإغليكانية» وأدب مجاهد ، على حين أن الكاتيبين الزنجيين الإنجليزيين ماربودي أندارد وأجوستينو قد قاوما الحركة الوطنية^(١) والتعصب عند السود ، كما أن هناك حقيقة ثانية تفرض نفسها وتؤكد أيضا أنه ليس من الطبيعي أن تفصل في أمرهما بين القصاصين والشعراء من ناحية وبين المتخصصين في العلوم الإنسانية من ناحية أخرى ، وذلك لأنهم سواء أكانوا منحازين ، أو غير منحازين ، أو أنهم معتنقون المسيحية أو متشبعون بالماركسية ، فإن جميع المثقفين السود تقريبا لم يعالجوا إلا موضوعاً واحداً هو « أفريقيا » إذ أن الاهتمام بالوطن الأفريقي قد بلغ أقصى غايته حتى أنه - من الناحية العملية الواقعية - لم يجد كتابا أفريقيين قد عالجوا موضوعاً آخر غيره ، إذا استثنينا ذلك الكاتب التوجولي « ر . ا . ج أرماتو » الذي كتب نحو عشرين كتاباً باللغة الإنجليزية بعضها بعيد عن موضوع أفريقيا مثل « مساهمة سويسرا في الحضارة الغربية » ولو أننا نستطيع القول أن أرماتو قد كتب في أول الأمر كتاباً بعنوان (عمق عقلية الرجل الأسود) *(Deep down the blackman's mind)* والملاحظ دائما أن يكون بطل الرواية الإفريقية رجلا أسود ، فإذا صادف أن كان البطل من البيض كلما حدث في قصة (نظرة الملك) للكاتب «كارالاي» فإنه لم يغفل أن تكون أحداث القصة متصلة بأفريقيا والعقلية الأفريقية ، أما الشعراء فإنهم يتغنون بالمرأة السوداء وبأرض أفريقيا ، كما تتعكس مشاعرهم في أشعارهم ضيقاً وثقلاً من الاستعمار ، ولم يتم أحد من كتاب الاجتياح الأفريقيين بتحليل نظم المجتمع الأوروبي كما لم يدرس أحد من علماء السلالات والأجناس الأفريقيين القبائل البدائية بأمريكا الوسطى أو في إسبانيا ، وكذلك الحال بالنسبة لرجال القانون ، فقد تناول «لامين جوي» القانون الملغى الذي يحكم معاصريه وكتب «سانتوس» عن حق التجنس بالجنسية الفرنسية : كما كتب «دودويتام» عن هذا التجنس أيضاً فيما وراء البحار . وكتب «تكميلي أيليسو» عن مشكلة الصداق في الكامرون وكتب «ت . أ . الياس» و «ج . ب . دانكا» عن العرف ونظمه في وطنه وكذلك الحال بالنسبة لرجال الاقتصاد واللاهوت والسياسة .

ويمكن أن نتساءل عن أسباب هذا التعصب ؟ فنجد أن سبب هذا التعصب هو الحاجة الملحة التي يجسها المثقفون الأفريقيون لكي يعالجوا مشاكل بلادهم . وليست مجرد الاهتمام بالثقافة عما (١) نجد أن مواطنهم الشاعر أوسكار ريباس منح في يناير سنة ١٩٦٣ رساما برتغالياً هو وسام ولى العهد دوم هنري وقد منحه إياه وزير مستعمرات ماوراء البحار في حكومة لشونة .

يعرفه المرء جيدا من معلومات . ولا تظهر هذه الظاهرة عند (يوشكين) أو (ديماس) فإن قلة ما يجرى في دماهم من الدم الأفريقي جعلها لا يحفلان بذكر أصلها الأفريقي في مؤلفاتها . ويمكن القول بأن التداخل من الأدب والعلوم الإنسانية يظهر ظهورا واضحا وطبيعيًا حين كتب الكاتب في مختلف الميادين . ف نجد مثلاً عند أخصائي علم أصول السلالات البشرية وطابعها مثل «أمون زاي» و«دانكا» فإيها كتب بعض المسرحيات كما كتب «كونيوم» القصص الشعبية (المقولكلور) و«هازوما» كتب قصة تاريخية كما كتب الشيخ «أنا ديوب» في التاريخ واللغة وكذا الشاعر «سنفور» الذي يجمع بين الشعرية ونظرية الطريق الأفريقي نحو الاشتراكية .

وكان ينبغي أن توقع بلاشك في قارة يمثل فيها المثقفون أقلية ضئيلة أن يكون الكتاب والباحثون من رجال السياسة . ولذا كان من بين أخصائي علم أصول السلالات البشرية «جوكيباتا» أول رئيس لحكومة كينيا وكذا «كوفي بيزيا» و«ح.ب. دنكا» زعيمى المعارضة في غانا و«كيوم» عضو الشيوخ السابق في الاتحاد الفرنسى و«هازوما» المستشار السابق للاتحاد الفرنسى و«بويوهاما» رئيس المجلس الوطنى في النيجر و«مبولوجيك» الوزير السابق في نيجيريا الشرقية وكذا «مايك كالكاتندا» وزير خارجية الكنفو السابق (ليوبولدفيل) . ومن رجال الاقتصاد نجد أن «دامادويا» رئيس مجلس الوزراء السابق في السنغال و«أبدولاى» مؤسس حزب التجمع الأفريقي في السنغال وكان وزيراً سابقاً . ومن بين القصاصين والروائيين ورجال المسرح نجد «برنارد داديه» وزير الإعلام في ساحل الذهب والشيخ «حميدوكان» وزير التخطيط والمعونة الفنية السابق في السنغال وكذا «سيدوباديان كوياتا» وزير الاقتصاد والتخطيط في مالى وكذا «نازى بوى» من فولتا و«فيلى دابوسيسوكو» السودانى وهما نائبان فرنسيان في المجلس النيابى وكذا جان مالوجبا (الكنفو) عضو مجلس الشيوخ السابق عن الحزب الاشتراكى الفرنسى . ويجد من بين الشعراء «سنفور» رئيس جمهورية السنغال و«ماريودى أندراد» و«أجوستينو نيتو» مديران في الحزب الأهلى في أنجولا و«كيثا فودينا» وزير الداخلىة في غينيا و«أنطوان روجيه بولامبا» وزير الإعلام والسياحة و الكنفو (ليوبولدفيل) .

وإذا كانت هذه الظاهرة ليست جديدة فإننا نذكر «لامارتين» و«دزرائيلى» وكذا «ماوتسى تونج» فهو أقرب مثل لعصرنا . قلما تصل هذه الظاهرة إلى هذا الشيع والانتعاع . وعلى هذا فإن هناك صلة وثيقة في أفريقيا السوداء تربط بين الكتاب والباحثين والسياسيين . وإذن فهذه قصة المآل العجيب هؤلاء المثقفين الذين تنصدى للحديث عنهم . ولب هذه المشكلة يكن دون شك في

كشفت الأسباب التي جعلت من هذه التخبئة من المثقفين والتي كانت هي الطبقة الأكثر قرباً من المستعمر فأصبحت بسبب ثقافتها ومستوى معيشتها على رأس الحركة التي تطالب بالاستقلال . ماعدا قلة منهم يعتقدون أن الأمل في تحرير أفريقيا لا يزال بعيداً .

كان تحرير المستعمرات القديمة يعتبر حدثاً بارزاً في تاريخ القرن العشرين وكانت سرعة هذا التحرر تعتبر مثلاً من سرعة التاريخ الذي يبدو مفهومه يسائر الحقائق الحالية .

إلى جانب هذا العنوان نرى بحثاً يفرض نفسه ويسير جنباً إلى جنب مع هذا التحرر . غير أنه يجب أن يظهر بوضوح ما سيكون عليه الغد من ردود فعل للجيل المقبل من المثقفين الأفريقيين والذين سيتزايد عددهم والذين سيولدون دون أن يتأثروا بالاستعمار ولكمهم لا محالة سيهلون من أدب الجليل الذي سبقهم .

وقبل أن نتناول ذلك بالبحث يجب أن نقرر أن هذا الكتاب يجعل دراسة المثقفين في المستعمرات الفرنسية السابقة في المرتبة الأولى كما أنه يشير أيضاً إلى الفكر عند المثقفين الأفريقيين الناطقين باللغة الإنجليزية وكذا الناطقين باللغة البرتغالية مها كانت مناعة وطول الحواجز الناجمة عن تقسيم أفريقيا وكتاب «جوموكينياتا» الذي ظهر لأول مرة في سنة ١٩٣٨ لم يترجم إلى الفرنسية إلا في عام ١٩٦٠ حيث يعتبره كل متخصص في الشؤون الأفريقية أكثر المؤلفات أهمية .

وإنه من الخطأ الفاحش أن نزل تاريخ الأدب الأفريقي الحديث عن نظيره القوى وكذا الآراء الرئيسية التي قدمتها نخبة الملونين من سكان «الأنثيل» . فإن أحد مؤسسي الحركة الفكرية الوطنية الأفريقية «إمجي سيزار» قد ولد في (المارينيك) كما أن «جورج بادمو» صاحب نظرية وحدة الدول الأفريقية قد ولد في (تريتية) .

كما كتبت الكاتبة «ليليان كملوب» أن الكتاب السود الأمريكيين الذين كانوا يقيمون في باريس بين عامي ١٩٣٠ ، ١٩٤٠ مثل «كلود ماكاي» و«لانجستون هيغيز» وآخرين مثل «كونتي كيلن» كان لهم أثر عميق على الحركة الفكرية الوطنية الزنجية . ومن المؤكد أن نجد توافقاً في الخواطر بين ما في دواوين الشعر الزنجي في أمريكا اللاتينية عند «أميليو بلاجاس» أو «يلدوفونسو بيريدا فالدمس» أو في دراسات «روجيه باستيد» عن البرازيليين السود نجدها نفس الموضوعات التي أوحى إلى كتاب أفريقيا . كما لعب المثقفون الأوروبيون دوراً لا يمكن إهماله في نهضة أفريقيا ، ومن غير الإنصاف أن ننسى دور هؤلاء الأوروبيين .

ولابد أن نضيف أن دراستنا هذه محدودة لأنها تنحصر في فترة زمنية ما بين بداية الحرب العالمية

الثانية وحتى اليوم . ولكن هذا لا يتعارض بالطبع من تذكر من وقت لآخر كلمة عن مؤلفات رواد المثقفين الأفريقيين مثل « إيتاييرسي سانشو » وهو عبد ربه دوق « مونتاجون » في إنجلترا أو « إيلوراه أكيمبو » الملقب « بجومستافوس فاسا » الذي دافع أمام البرلمان الإنجليزي بوجوب إلغاء الرق . فيها من كتب القرن السابع عشر . وقد ورد اسمهما في المؤلف القيم الذي وضعه الأب « جريجوار » وهذا المؤلف يعتبر المصدر الذي استقى منه « ولسن أرمستيد » وهو من دعاة إلغاء الرق المتحمسين الذي ظهر بعد خمسين عاماً .

وإذا كان هذان الكتابان يتيحان لنا قراءة المثقفين الأفريقيين الأوائل والذين كتبوا باللغات الأوروبية (الحية والميتة) كمؤلفات « أمو » و « كابتين » باللغة اللاتينية : الأول من رجال القانون وقد تنقّف في ألمانيا . والثاني من رجال اللاهوت وقد تنقّف في هولندا . فإنه لا توجد حسب معلوماتنا أية مؤلفات في اللاهوت مماثلة في القرن التاسع عشر . ومع ذلك فترجد بعض المكتشفات التي لم تتم بعد مثل « جيس أفرىكانوس ب . هورنون » وهو نظامي (دكتور طب) من كلية الطب بأديره وعضو بالمعهد الأفريقي بباريس وقد عمل كطبيب بالجيش أثناء حملات الإنجليز الأولى على ساحل العاج أو « البويرلد بانيه » والذي كان يسبق اسمه دائماً بكلمة (المواطن السنغالي » حين يوقع التقرير السري الذي قدمه عن مهمته في الصحراء لحساب الحكومة الفرنسية عام ١٨٤٩ .

قراءة هذه النصوص القديمة توضح . دون أن نحسب لذلك حساباً المؤلفات والمخطوطات التي تتصل بجيلنا .